المنار
١٣١٥

مصر في يوم السبت ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ٢ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩٩

تحريف الكلم عن مواضعه

رد على مسلم حر الافكار

يعلم القراء ما كان من خوض الجرائد في مسئلة (الجامعة الاسلامية) وان بعض كتاب النصارى ارتأوا ان ترقي المسلمين يتوقف على الفصل بين الدين والدولة والخلافة والسلطنة كما هو مقتضى اصول دينهم وخالفهم كتاب المسلمين في هذا لانه مخالف لاصول الديانة الاسلامية وفروعها ولكن نشر في المقطم مقالتان طويلتان بامضاء (مسلم حر الافكار) وافق فيهما صاحبهما كتاب النصارى وجعل قاعدته فيها ان تكون وظيفة الدولة والحكومة (تأمين الناس على ارواحهم وأعراضهم وأموالهم وسن القوانين العادلة لهم) وهذا انحراف عن صراط الاسلام وتحوّل عنه لا يقول به الا من لا يعرف ما هو الاسلام او من يرى ان نجاح المسلمين وترقيهم انما يكونان بتركهم اصل دينهم والاخذ باصل النصرانية في هذه المسئلة . وقد أسهب المنار في الرد على هذا الكاتب وبين حكم الدين الاسلامي في المسئلة والفرق بينه وبين الدين المسيحي وأثبت ان كل بلاء حل بالاسلام والمسلمين فمرجعه الى ما طرأ على الخلافة والخلفاء ففصل بين السلطة الدينية والسياسية وأنه لا يعود للاسلام

كمال مجده الا برجوع هذا الامر الى نصابه واناطته بمن يقوم به حق القيام . فاذا سلمنا لحضرة الكاتب (ان الغاية التي تسعى اليها الدولة في زماننا هذا دنيوية محضة) وهي ما مر عنه آنفاً من التأمين وسن القوانين فيجب علينا ان نطالبها بحفظ الدين والعمل بالشرع دون مايخالفه من القوانين لاان نشايعها على تعدي حدوده وابطال شعائره تقليداً لديانة اخرى تعتبران الدولة والدين امران متباينان يفترقان ولا يجتمعان . ويجب علينا ايضا ان نقف مع ذلك عند هذه الحدود العادلة ونقوم بتلك الشعائر الشريفة ونربي عليها ابنائنا وبناتنا الى ان يكون للامة رأي عام تقتدر به على الزام دولتها بالتزام دينها وشريعتها . ووجهة المنار في الدعوة الى الاصلاح الاسلامي الامة الاسلامية دون حكوماتها لان بعض تلك الحكومات اجنبية لا كلام لنا معها والامراء والسلاطين من المسلمين قلما يلتفتون لارشاد جريدة او يجيبون مطلب رجل انما شأنه في لسانه وقلمه فاذا خافوا تأثير كلامه في بلادهم منعوه دونها

وبعد انتشار المنار المشتمل على الرد باسبوع رأينا في المقطم مقالة بامضاء ذلك الكاتب (مسلم حر الافكار) يرد فيها على المنار لكنه حرف الكلم عن مواضعه ونسب الينا ماليس لنا فزعم اننا حملنا عليه حملة منكرة لانه نصح لابناء ملته في المقطم « ان يجعلوا اتكالهم على انفسهم في تدبير مصالحهم ولا يلقوا كل اعتمادهم على الحكومة وان يراعوا دوران الزمان وتغير الاحوال طبقا لمقتضى الدوران » الخ واننا انكرنا الخلافة العثمانية والصواب ان الحملة المنكرة انما كانت لاجل المسئلة المتقدمة التي زعم ان المنار موافق له فيها والمنار اول جريدة انشئت في العربية تحث الامة على الاعتماد — بعد الله — على نفسها الى آخر ماتقدم آنفاً ولنا في هذا مقالات ونبذ كثيرة في المجلد الاول وفي المجلد الثاني

وما وافقناه ولن نوافقه على جعل الفصل بين الدين والدولة واقرار الدولة على ترك الشريعة السماوية وقيامها بتشريع جديد ـ من اعتماد الامة على نفسها المطلوب منها ولا على جعله اياه من الامور التي يجب ان تراعي به الامة احكام الزمان وتغير الاحوال فاننا نعتقد ان شريعتنا صالحة لكل زمان ويمكن اتباعها في كل حال بشرط ان لا تتقيد بقول مجتهد واحد من علمائها

أما احتجاجه علينا بما شرحناه من سبب ضعف الخلافة واستبداد العمال بسياسة الدنيا واهمال حراسة الدين وقولنا في اثر ذلك (فتمزق بهذا نسيج الوحدة وتفرق شمل الجامعة الاسلامية ـ الى قولنا ـ وكان هذا امراً اقتضته طبيعة العمران) فهو حجة عليه لا له وظاهر في خلافه لا في وفاقه . وبيانه من وجهين احدهما اننا صرحنا بان خروج السلطة الدنيوية من ايدي الخلفاء واستبداد السلاطين فيها هو الذي مزق الجامعة الاسلامية كل ممزق فكيف نعود فنقول اليوم بان ما كان سبب النقض والانفصام يكون اليوم سبب الفتل والابرام . وثانيهما ان ما تقتضيه طبيعة العمران لا يكون ضربة لازب الا اذا وجدت اسبابه ودامت علله . ويدلنا علم الاجتماع على ان للقوة والترقي نواميس وللضعف والتدلي نواميس اخرى وان لكل امة من الامم شؤونا مخصوصة في تقدمها وتأخرها وصعودها وهبوطها وأفادنا التاريخ ـ وهو مورد علم الاجتماع ومصدره ـ ان الامة الاسلامية ما بلغت ذلك السؤدد الرفيع وما اشرفت على العالم بالامر والنهي من شواهق العزة والسلطان . وما اشرقت على كرة الارض بالعدل والاحسان من سماء العلم والعرفان الا بدينها من حيث انه جمع بين السلطتين في رئيس واحد مقيد بالشريعة العادلة التي يدين لها هو ومرؤسوه سراً وجهراً . ويرون اتباعها ايمانا والاعراض عنها

كفراً . وان ذلك السؤدد ماتداعى سوره . وزلزل عرشه وسريره . الا بما ذكرنا من اهمال وظيفة الخلافة التي ضمت السيادة من قطريها . وجمعت للسعادة بين طرفيها . وكل واحد من الامرين اقتضته طبيعة العمران . ولم تخرج فيه الامة عن نواميس الاكوان . فكيف نظر (ناصحنا حر الافكار) بأحدى العينين . واختار لامته أمرّ الامرين . ؟؟ هذا ملخص ماقلناه في المسئلة من حيث هي اجتماعية اسلامية وجوابنا عن شبهته فيه وهو صريح في اننا نحن واياه على خلاف لاعلى وفاق .

وما كان لنا ان نتكلم في مسئلة اجتماعية من الوجه النظري من غير ان نبين وجهتها من حيث الوجود والواقع لئلا نغش الناس بايهامهم اننا نطلب منهم ماليس في ايديهم كامكان توحيد السلطة الاسلامية في هذا العصر بالنسبة لما نحن فيه من البحث ولذلك بينا في آخر تلك المقالة (مقالة الدين والدولة والخلافة والسلطة) ان السعي في اعادة مجد الاسلام التوقف على اتفاق المسلمين على امام واحد يعتقدون الخضوع له سراً وجهراً ليس من العبث (كما يدعي حر الافكار) بانهم اذا لم يكونوا متفقين على خليفة واحد فهم متفقون على القرآن وهو الامام الاعظم والمصلح الاول الداعي الى كل هدى والناهي عن جميع اسباب الردى . وقلنا انه يجب على من يهمه ترقية شؤون المسلمين ان يدعوهم بالقرآن الى العلم والعمل والقيام بمصالح المعاش والمعاد مع مراعاة سنن الكون في السير . فصرف (حر الافكار) الكلام عن مواضعه وزعم انني انكرت (ان المسلمين اليوم خليفة حقيقياً) و (ان سلاطين الدولة خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم) والحق اني انما انكرت وجود امام غير القرآن يخضع له جميع المسلمين سراً وجهراً وهذا لا يلغي وجود خليفة حقيقي يخضع

له البعض اوالاكثر دون الجميع . ومعلوم لكل احد ان مسلمي مراكش وايران لايخضعون لخلافة آل عثمان فاذا كان الاخبار بهذا يدل على الاعتقاد ببطلان خلافة سلاطين آل عثمان فالاخبار بان بعض الناس ينكر وجود الله تبارك وتعالى يدل على اعتقاد المخبر عنهم بانه ملحد مثلهم والحق ان حاكي الكفر ليس بكافر وانني ماتعرضت في مقالتي تلك للخلافة العثمانية بنفي ولا اثبات لاتصريحاً ولا تلويحاً وان (حر الافكار) حرف الكلم ورماني بهذه التهمة عن سوء قصد لاعن سوء فهم فيما يظهر والله اعلم بالسرائر

فتبين للبيب مما بسطناه ان صاحب المنار . ماوافق ولن يوافق ذلك الملقب بمسلم حر الافكار . وأغرب من زعمه الموافقة وأعجب ان كتابته تشيد عليه احدى الغميزتين ـ عدم فهم الاسلام او اعتقاد ان تركه سعادة للانام ـ وهو مع ذلك ينفي التهمة عن نفسه بالاعتزاز بالاوربيين والتبجح بالانتماء اليهم والاخذ بتعاليمهم وانكار اطلاق لفظ الكفار عليهم او الحمل على هذا حيث قال بعد مازعم انني موافق له على ماتهمته فيه بالغدر والمروق مانصه واغرب من ذلك وأعجب ان صاحب المنار يعيرني بقوله عني (يصف نفسه بانه مسلم حر الافكار وما جاءت حريته الا من رق الكفار) فمن هم الكفار الذين يمنيهم الاوربيون الذين يعيبني على الدرس في مدارسهم ام الانكليز المحتلون لهذه الديار) اه واقول في الجواب (اولا) انني ماعبته على الدرس في مدارس الاوربيين بل لااعرف اين درس ولا اعرف شخصه الكريم ايضا (ثانيا) ان احتلال المحتلين لهذه البلاد امر سياسي عسكري لاعلاقة له بالكفر والايمان ولا نعلم عن الانكليز انهم اكرهوا احدا على ترك دينه اللهم الا ان يظهر مارق كفره الذي اشربه من قبل اعتزازا بهم واعتمادا على منعهم

قومه من ايذائه او امتهانه . ثالثا ، ان الدين الذي ينتسب اليه ويتكلم في ترقي اهله يسمي كل من لم يكن مسلما بالكافر وهذا الاستعمال مستفيض في الكتاب والسنة وكتب الائمة وهو اصطلاح شرعي لم يقصد به الذم والاهانة كما بينت ذلك في العدد الاول من المنار معززا بالشواهد من كتب الدين واللغة (رابعا) انني أنا قد ذكرت في ذلك العدد ايضا ان لفظ الكفر صار من اقبح ألفاظ السب والشتم لانه يطلق في اصطلاح كتاب المصر على من لا دين له او على من ينكر وجود الباري تعالى وانه ينبغي لذلك ان يخصص في الكتابات المصرية بهذا المعنى . وذكرت هناك صورة فتوى شرعية بعدم جواز مخاطبة الذمي بيا كافر اذا كان يستاء من ذلك ولكن الاصطلاحات الشرعية لا تتغير ومثل هذه المسئلة انما خصصت بالحكم الشرعي المقرر بالاجماع وهو عدم جواز اهانة الذمي ونحوه كالمعاهد والمستأمن (خامساً) ان الذي أملى على الفكر كلمة « رق الكفار » هو النكتة البديعية فان في العبارة الطباق بين الرق والحرية والجناس المطلق بين الافكار والكفار وأعني بالكفار الذين يتعلمون العلوم الحديثة وهم ليسوا على شيء من الدين غير ما يتلقونه بالتقليد الناقص وما يرونه بالمشاهدة ممن يعيشون معهم فيخرجون على غير دين بالكلية لاسيما اذا كانوا مسلمين وتعلموا في مدارس اجنبية وذلك ان التلميذ المسلم لا يتعلم في المدارس الاجنبية الديانة النصرانية فيكون نصرانياً ولا يعرف الاسلام فيكون مسلما وهؤلاء هم أضر على المسلمين من جميع العالمين ويصدق على المارقين منهم لفظ الكفر بمعنيه الشرعي والاصطلاحي العصري

هذا وانني اختم كلامي بالنصيحة لحضرة الكاتب كما ختم كلامه بالنصيحة لي وأحب كما يحب ان أعيش معه ومع جميع الناس بحب وسلام فاقول اذا

كنت تحب ان تتكلم في الشؤون الاسلامية فيجب عليك أولا ان تقف على علوم الشريعة من عقائدها وأصولها وفروعها وتفسيرها وحديثها وفقهها وآدابها لتكون على بصيرة من أمرك وأمر ماتدعوا اليه كما هو شأن المسلم بمقتضى قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) والا فالزم شأنك مكتفيا بعلومك الاوربية والسلام على من اتبع الهدى

الحديث الموضوع

نشرت مجلة الموسوعات الغراء مقالة تحت هذا العنوان لاحد الفضلاء رأينا ان ننشرها في المنار افادة للقراء وهي

الحديث الموضوع هو المختلق المصنوع المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً وهو أشد خطراً على الدين وأنكى ضرراً بالمسلمين من تعصب اهل المشرقين والمغربين . لانه يصرف الملة الحنيفية عن صراطها المستقيم ويقذف بها في غياهب الضلالات حتى ينكر الرجل اخاه . والولد أباه . وتطير الامة شعاعا وتفرق بداد بداد لالتباس الفضيلة وأفول شمس الهداية وانشعاب الاهواء . وتباين الآراء . وان تفرق المسلمين الى شيعة ورافضية وبابية ونصيرية وزيدية وخوارج ووهابية وسنوسية ودرزية ونيشرية الخ لهو أثر قبيح من آثار الوضع في الدين . ولقد قام الحفاظ الثقات وكادوا يزهقون هذا الروح الخبيث بضبطهم الحديث حفظاً وكتابة وتلقيناً ومازوا الخبيث من الطيب وقشعوا سحب اللبس فتلألأ نور اليقين أحقابا طويلة حتى ابتلى الاسلام بموت الحفاظ الذين آخرهم عندنا جلال الدين السيوطي رحمه الله فأطفئ المصباح من مشكاة مصر وأغلب الشعوب الاسلامية وعمدا الباطل على خلق عدوانا شديدا . ولولا كتاب الله فينا وبقية من اهل العلم